

رواية



مرآة

maralle  
قصة الحب والموت

جمال سليمان

# مَرَّالٌ ...

maralle

قصة الحب والموت

((جزء للقراءة وليس للنشر))

مُرُوا الأيام أن تتوقف ..

لا أريد أن أشيخ مبكراً هكذا ..

لا أريد أن أكون مثل الجذع الخاوي الحزين.

ظلت تبكي حتى بزغ نور الصباح، وكان نور غرفتها موقداً طوال الليل كعادته. فهي تخاف أن تنام في الظلام واعتادت أن تترك الضوء مُقاداً حتى الظهيرة في بعض الأحيان.

الغرفة بها شباك وحيد يطل على الشارع الخلفي والذي تحجب بناياته المواجهة عنها ضوء الشمس صباحاً، لأنها في الجهة الغربية ولكن تزورها الشمس ساعات قليلة قبيل إنتهاء رحلة اليوم وقبل أن تودّع الشمس هذا العالم.

مُتعبةً هي الآن أكثر من أي وقت آخر ..

خائفة جداً لحدٍ غير معقول ..

يطلُّ الرُعب من جفنيها كلما سمعت صوتاً خارج الغرفة، وكأنها اقتربت جُرماً تستحق أن ترجم عليه، وأن الجميع فطنوا لفعلتها وسيفتكون بها.

مجرد أوهام تعشش في دماغها الممتلئ به، ولا يسكت عنه أبداً.

"جايدا" أيضاً لم يغمض لها جفن. أخذت قرصين من المهدئات ولم تستطع النوم.

قلقها وخوفها على صديقتها "مرال" يزداد بإضطراب عجيب يوماً بعد الآخر، وهي تقف كالعاجزة لا

تملك من أمرها شيئاً.

فكرت كثيراً أن تهاتف "ياسر" وتخبره بأمر "مرال" ولكنها تشفق عليه تارة، وتارة أخرى تحدث

نفسها بأنه يعلم "لابد أنه يعرف .. أعلم أنه يشعر بها الآن، وربما أكثر مني."

تغوص في سريرها وتلتهمها الحيرة ، وبرأسها تدور طواحين بيروت القديمة فتشبعها ضجيجاً

وتهرس كل تفكير إلا في "مرال".

\*\*\*

"في عتمة الليل،

أظلمُ وحيداً لا أرى غيري ..

وهذا شيءٌ لا يُطلق."

غفى "ياسر" قليلاً بعدما استسلم للتعب، فترك جسده ليستقر فوق سريره وسرعان ما تسلل النُّعاس إليه فحجب عنه كل الرؤى والأصوات.

إستيقظ قرابة الثامنة صباحاً وقد شعر بآلام في رقبته ووجع بكل شبر من جسده. حاول طرقة رقبته لكنه شعر بآلم مضاعف وأصبح من الصعوبة أن يحركها كما يشاء.

تحامل على نفسه وقام ليغتسل. توضأ وصى ركعتي الصبح ولم يصل الضحى.

إرتدى ملابسه ببطء شديد وحمل حقيبته ونزل إلى الشارع في ملل وفتور معتادين ثم ركب سيارته وانطلق إلى مقر الشركة.

وصل إلى المقر، ركن السيارة في المرآب وقفز قاصدا المصعد بهمة ملحوظة داعياً ألا يراه أحد.

لا طاقة له اليوم بالحديث مع أحد، حتى أنه متأزم من مجرد إلقاء التحية أورها.

من حسن حظه لم يصادف أحد من الزملاء، حتى وصل إلى المصعد ثم ضغط أزراره صاعداً إلى الدور الثالث عشر.

وصل إلى مكتبه فألقى "ميادة" السكرتيرة جالسة في الإستقبال.

– صباح الخير ميادة

– صباح الخير استاذ "ياسر".

لم ينتظر ليسمع الرد وكان قد دلف إلى المكتب تاركها للدهشة تلوكها مع كوب "النسكافيه" التي تحتسيه.

كان في حالة مزرية ومزاج لا يسمح له بالكلام حتى مع نفسه.

وضع الحقيبة وضغط على زر تشغيل الحاسوب ثم توجه إلى "البوفيه" وصنع كوباً من الشاي ثم عاد إلى المكتب وجلس لبدأ رحلة اليوم مع العالم الأزرق.

بسرعة فتح صندوق الرسائل ومرّ على صفحته ليرى كيف كان التفاعل من الأصدقاء على آخر منشور له. تمتم في شيء من الرضا :

"ممم لا بأس بذلك..."

كان كمن يفقد لكل شيء ويبحث عن أسخف الأشياء وأتفهها سببية حتى يصنع لنفسه قدرا من السعادة أو الرضا بتشبيه أكثر دقة.

كان المنشور عبارة عن رسالة موجهة إلى "الله" ..

وحده الذي يستطيع فك حصار صدره وإزاحة السدود التي تعيقه وتقف حائلا أمام ما يتمنى.

وحده الذي يملك ان يثلج صدره ويُحقق ما يتمناه وما تتمناه هي.

"يا الله .. اللهم إنك تعلم أنها تراه بعيداً، وأراه بعيداً ..

لكنه ليس عليك بعيداً."

تفاعل الناس منحه شيء من الرضا كان يحتاجه حتى يُكمل اليوم وكأنهم يعلمون ما يُخفي في قلبه رغم أنه لم يُبح به.

كل إنسان يعاني فقدا ما أو مستحيلا ما قد نكى بجراحهم واستنزف قواهم وخارت هماتهم وخرجت الآهة حارة تُلهب في صوت مكتوم .."يارب".

تفاعلوا مع المنشور ونشره الأصدقاء حتى وصل إليها.

عرف أنها ستصمت طويلا لأن مآقيها قد جفت وانعجت من الصبر ولكنها ستسكت من الوجع ليس إلا ..

ثمّة أشياء تذبحنا ولا نعرف كيف نثيها أو نهرب بعيدا كي ننفذ أنفسنا منها.

أغلق الحاسوب وقام بتجهيز أوراقه كي ينزل مجدداً ليمارس العمل بزيارة مستشفى ما كما هو موضوع بخطة اليوم.

كان منظماً إلا حد ما ولكنه ليس مميزاً في عمل الخطط وكان يستعيز عن ذلك بمهارته في التسويق. يجيد فن الإقناع لما له من باع في الكتابة فإنه يعرف كيف يصل إلى الآخر.

العمل في القطاع الخاص لا يرحم. والأرقام هي التي تتحكم فيه،

عليه أن يسعى أكثر لينال رضى المدير، أو على الأقل حتى لا يستحق غضبه.

\*\*\*



اعتدت "مرآة" من نومتها الغريبة. لا تعرف كيف نامت على تلك الكنبه الضيقة التي بالكاد اكتنزت جسدها الممتد وتكورت لتغوص فيها وتغط في النوم.

قامت تتحسس نفس الوجع. آلام في الرقبة.

أفاقت بعد دقيقة وقفزت مسرعة بإتجاه الحاسوب لترى ماذا فاتها بالأمس.

هي بعادتها ليست من مدمني السوشيال بصفة عامة والعالم الأزرق "فيس بوك" بالتحديد لا تحبه ، ولكنها منذ أن عرفته أصبح يلازمها أكثر من أي شيء آخر.

بالأمس لم تكن في حالة جيدة، تسمح لها بالولوج إلى صفحاتها أو مشاهدة أي من المواقع أو البرامج في التلفاز.

كان يوماً صعباً على الجميع.

حتى الكتب التي تجد فيها مرتعاً ومهرباً من هذا الواقع لم تقربها بالأمس.

لم تجد للقراءة شغف ، وليس هناك ما يشير شهيتها لتقرأ.

لا شيء يمكنه أن يسرقها من التفكير فيه، يسيطر عليها .. تشعر به بكل حواسها، وتفكر في الإتفاق الذي أبرمته معه.

فتحت الصفحة بسرعة فظهر منشور "ياسر" أولاً كالعادة، وما إن رأته حتى إنتفضت واقفة في نعر  
وكأنه أصابها مسّ شيطاني.

إرتج جسدها وسرت رعشة غريبة فيه لا تعرف سرها.

أسرعت ترسل إلى "جايدا" لتعرف إذا كانت مستيقظة أم لا زالت نائمة. لازل الوقت باكرا لكي  
تحدثها الآن. إكتفت بالرسالة كي لا تقلق نومها بعد حفلة البكاء بالأمس. "لابد وأن جايدا متعبة"  
قالت في صوت خفيض ولكنها فوجئت برد "جايدا" السريع، ففهمت انها لم تنم.

استغربت لأنها نامت و "جايدا" لم تنم ..

أي رقيقة هذه ؟؟

أي حب يربطها بها ؟؟

إنها كنزها الثمين، وسندها في هذه الحياة القاسية ومرام جراحها وبلسمها كلما عصفت بها النوازل.

لم تنم "جايدا" من التفكير .. كيف ترى رفيقتها "مرال" في هذا الوضع وترى حب "ياسر" لها وهذه  
الحالة الغريبة التي لم تسمع عنها ولم تراها من قبل إلا فيهما، وترى كل هذا التعلق والحب يكاد  
يُغتال بأيدي الناس والأهل والمجتمع، وهي لا تستطيع أن تحرك ساكناً. فكيف يجيء النوم؟

لقد فكرت واهتدت إلى حل ينقذ ذلك الحب.

يجعل "مرال" و "ياسر" يرتبطان إلى الأبد بمباركة الجميع.

الشيء الوحيد الذي ساعدها على هذا أن أحداً من اهل "مرال" لا يعرف شيئاً عن "ياسر".

رن هاتف "مرال" وعلى الجانب الآخر "جايدا":

— صباح الخير يا قطعة السكر

— صباح الخير حبيبتي "جايدا" .. لماذا لم تنامي؟

— لا بأس .. ربما بالغت في شرب القهوة بالأمس. المهم الآن، فقد طرات لي فكرة لا بأس بها

ستمكنك من الزواج بـ "ياسر" بسهولة إن تم الأمر وفق الخطة المرسومة.

— كيف؟؟؟

شهقت "مرال" غير مصدقة، شهقة من يوشك على الإختناق و وجد التنفس. شهقة من يريد

التشبث بالحياة وهو على قيد الغرق ووجد من يتنشله من غرقته ..

أطل الفرح من عينيها وكأن "جايدا" رأته فضحكت وأردفت:

— قابليني بعد ساعة في مقهى الجامعة وستعرفين كل شيء..

أغلقت "مرال" الهاتف وهي تغرق وتغرق في تفكير لا حدود له وكأنها سقطت في الفراغ الذي ليس

له نهاية.

ماذا تخبئ لنا الأيام؟؟

أترها قد تبسم لنا الحياة ولو لمرة واحدة فقط ..

أريدها هذه المرة فقط ..

هذه المرة وسأكتفي منها ومن كل شيء ..

\*\*\*

في غرفته جلس وحيداً كعادته يتكئُ على أحلامه ..

أخرج رزنامة أوراقه وأمسك بالقلم محاولاً الكتابة ، ولكنه كعادته في الفترة الأخيرة لم يفلح في كتابة شيء.

تسلل حزنٌ قديمٌ إلى قلبه عندما سمع هاتفه النقال يعز...

– السلام عليكم

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..كيف حالك يا أمي؟

– أنا بخير .. كيفك أنت؟

كيف صحتك وشغلك وكيف سيارتك؟

– الحمد لله بخير .. كله تمام.

– متى تجيء إلينا يا "ياسر" .؟

سكت برهة ، ثم زفر بضيق مكتوم وبصوت لم لا يكاد يُسمع:

إن شاء الله قريباً .. قريباً يا أمي. لكنني مشغول جداً هذه الأيام.

أنتِ تعلمين أنني أتابع دار النشر التي توزع الكتاب على المكتبات داخل مصر ، وأقوم أنا بتسويقه للمكتبات خارج مصر. لقد انتهى المعرض وبدأ وقت العمل الحقيقي بالنسبة للكتاب. بالإضافة إلى شغلي وسفري المتواصل إلى مختلف المحافظات لا يتح لي الكثير من الوقت .. أنتِ تعلمين كل ذلك يا أمي .. أليس كذلك؟

– كان الله في عونك .. أبيك كما تعلم تحدث مع والد "يُسرًا" وذهبنا إلى رؤيتهم بعلمك وإتفق معه على أنك ستحضر لرؤيتها. نريد أن نرتاح يا ولدي.

نريد أن نفرح بك ونرى أولادك ، فالعمر يمضي .. ولم يتبق لنا إلا القليل.

– أظال الله في عمرك يا أمي وفي عمري أبي .. أعرف كل ذلك. إن شاء الله قريباً لا تقلقي.

– خُذ .. أبوك يريد أن يكلمك.

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. كيفك يا حاج؟

– تمام الحمد لله أنا بخير .. كيف صحتك أنت؟

– بخير والحمد لله يا أبي.

– الله يسترك يا ولدي ويعطيك الصحة والعافية دائماً.

– آمين يارب وياكم

– "ياسر" يا ولدي .. قبل أن نذهب إلى الرجل لرؤية إبنته أخبرتك ، وسألتك بعد أن علمت أنه كان معلمك في المدرسة ، ويعرفك جيداً .. وقد أثنى عليك كثيراً وقال أنك مثل ولده ويقدرك تقديراً عظيماً ، ولم تُبد لي أي اعتراض .. أليس كذلك؟

– ....

– يا ولدي أنا لا أعرف ماذا أقول للسيد "مصطفى" إذا ما قابلني صدفةً وقد كنت أخبرته أنك ستأتي خلال شهر أو أقل ، وها هو الشهر قد قارب على الإنتهاء. وليس من عادتنا أن نتنصل من وعودنا وأنت تعلم ذلك. انا أعرف أنك مشغول وفي فترة حرجة في العمل وبخصوص الكتاب وكل شيء ولكن أيضاً هذا الموضوع مهم.

لا تُخرجني مع الرجل بعد أن ذهبنا ورأينا "يُسرًا" وهي ما شاء الله عليها ، لا تُعاب ولا ينقصها شيء. نريدك أن تأتي حتى ليومٍ واحدٍ فقط ، ومن ثم تعود لتستكمل العمل. تراها ثم ترحل. تقول رأيك فيها ولن نُرغمك على شيء ، في متسع الوقت إن أراد الله أن يجمع بينكما تجهز نفسك كما قلت في متسع الوقت.

ما رأيك؟؟؟

– حاضر يا أبي .. سأنفذ ما تطلبه مني. ولكن إعطني بعض الوقت كي أرتب أموري هنا. هذه

الأيام جدُّ مضغوط ، عليَّ إلتزامات كثيرة يجب أن أوفي بها قبل أن آخذ أجازة من العمل.

– اللّٰه معك .. بس لا تعوِّق علينا. اللّٰه يبارك لك ويوسع رزقك .. مع السلامة

– في أمان اللّٰه يا أبي .. مع السلامة.

إقتحمته الحيرة ، وزادته ضيقاً إلى ضيقه. ما بال هذا اليوم لا يمضي ..

لماذا الآن كل شيء يسير بسرعة مضطربة عكس الإتجاه .. عكس ما يرغب به.

ماذا يفعل الآن في هذه الورطة ..!!

ماذا يقول لهم الآن .. ؟؟

هل يقول لهم أن "يُسرا" التي لا يعرفها إستطاعت أن تحصل على رقم هاتفه وكلمته قبل يومين

ولم يكن يتوقع منها أن تفعل ذلك ..وأخبرته أنها لن تستطيع الإرتباط به لأن والدها الذي أصرّ على

تطليقها من خطيبها في أقل من شهر يريد أن يُرغمها على الإرتباط به ؟؟

وهو شيء صعب عليها .. وقاسٍ ولا يمكنها أن تتحمّله.

كلمته ولا يمكنه أن يلومها إطلاقاً على جراتها. فهو يعرف أنها مجروحة ، فقد كانت تحب زوجها

وهو ما قالته صراحةً دو خجل أو خوف ..



كانت سعيدة به حتى بعد إكتشافهم أنه مريض بذلك الداء الخبيث (Renal Failure) ، وكانت تأمل أن يقوم بعملية زرع "كلى" فقد أصبحت سهلة ونسبة نجاحها كبيرة جداً. وهذا المرض لم يعد مخيفاً بعد بل صار شائعاً والتعامل معه بات أكثر سهولة عمّا قبل.

ولكن كيف يخبرهم وقد أخذت منه عهداً ألا يُخبر بذلك السر أحداً ..

تشبثت بمروءته وتعشمت ألا يخذلها .. وليس هو من يفعل ذلك.

أوه يا أباي .. ماذا أفعل .. !!

لا أريدك أن تبينَ صغيراً أمام السيد "مصطفى" وفي نفس الوقت لا أريد أن أخذل الفتاة. فهي لن تستطيع أن تثنى لأبيها كلمة إذا ما قدمتُ لخطبتها. والدها متحكم وهذا واضح جداً. وأنا لا أستطيع أن أمثلّ عليهم دور الجادّ الراض وأتحدجج بحجج فارغة كي أقول أنني لا أريدها ، فلن يقتنع والدها وسيشعر بالإهانة وهذا أيضاً صعبٌ عليّ.

لا أريد أن أفقد إحترامه لي .. ولا أريد أن أخذك .. !!

ماذا أفعل ...؟؟.

-7-

في ذاتِ المقهى جلست "مَرَالُ" تنتظرُ "جايدا" التي سرعان ما حضرت يحمل وجهها آثار سفرٍ طويل وأرق وتعب عظيمين.

إستقبلتها "مرال" وجلة ، وسألتها قبل أن تسحب كرسياً لتجلسها:

– ماهو ؟

– "يا ستي شوبك" .. ما في صباح الخير بالأول؟؟

– آسفة يا "جايدا" .. بعرف عذبتك كثير معي والله .. بس مليش غيرك.

– حبيبتى لا تقولي هيك .. أنا بعرف إن بدك تعرفي شو هوي الحل ..

انتو بدكن ترتبطوا انتي و"ياسر" وفيه مليون سؤال جواتك بده خبرية.

منين وهوي مسلم وانتي مسيحية واهلك واخواتك وجيرانك والمجتمع كله كيف بدهن يتقبلوا هالوضع .. بعرف انه كثير صعب ..

بس بالأول خليني أعرف ..لقديش انتي وياسر اتنيناتكن مستعدين توصلوا سوا؟؟

لوين مدى ممكن تقدرؤا تروحوا وما توقفوا ..؟؟

يعني إنتي ما بيفرق معك اذا بتعيشوا هون او بمصر ولا باوروبا ولا بأي مكان .. مو هيك؟

– إي صح .. بس ما فهمت .. شو قصدك "جايدا" ؟؟

اللّه يوفقك ما فيني أتحمل أكثر من هيك !!..

– خلاص خلاص .. راح اوضحلك أكثر ..

الموضوع مو متوقف عليكى وحدك انتي بس ..كمان متوقف على "ياسر" اذا هو بده ياكى وممكن يجي لهون.

ببساطة بدكن تعملوا تمثيلية صغيرة ..

بالأول رح نزور الهوية تبع "ياسر" و بعرف حدا قريب ممكن يساعدنا بهل إيشي بعد ما نعطيه شي ميتين تلاتميت دولار ولا شي..

بعدها يطلعله أوراق جديدة على إنه مصري مسيحي وبعدين يجي لهون ويتعرف عليكى لفترة وتعرفيه على أهلك على إنه زميل شغل أو أي إشي وأنا راح أدعمه معك وأظهره قدامهم إنه منيح وشب مهضوم وكله مروة وكل هالاشيا اللي بتعرفيها.

بعدها أهلك بيظمنوا واخواتك انه شب ما في منه وبيوثقوا فيه وبيقدر يطلب يتزوجك منهم وطبعاً لأنهم عارفينك وما صدقوا إنك طبيتي رح يوافقوا فوراً عليه و بتقدروا تتزوجوا بالكنيسة و بعدها تسافروا برات البلد ويرجع كل شي لأصله..

هايدا باختصار .. لكن الموضوع مو سهل ..

راح يكون كثير خطر لتكوني عارفة.

ما فينا نضمن انه يعرف يمثل دور المسيحي بالكنيسة لـ"ياسر".

بده تدريب كثير لحتى يصير مسيحي بكل شي .. معاناتها ان العملية محتاجة لوقت كبير وما

بظن انه هايدا فيه مشكلة لالك. بس ما بعرف شو الوضع بالنسبة لـ"ياسر".

راحت في تفكير عميق في كل ما قالته "جايدا" وهي تلوك الفكرة وترى إلى ما سيوصلها عقلها.

لحظات صمت مريبة ما بين خوف ورجاء. القلق يداهم عقلها بعنف ليس له مثيل.

هي تثق أن "ياسر" لن يرفض ذلك وسيقوم بالمغامرة ، ولكن خوفها عليه أكبر من أن يجعلها تقوم

بمثل هذا الشيء. فهي تعرف جيدا تبعات هذا الأمر في حال إذا ما افتضح أمرهما.

العواقب ستكون وخيمة. والدها رجل له معارف على أعلى مستوى وأصدقاءه رجال دولة من

المستوى الأول. إخوتها أيضاً لهم نفوذ ليس فقط في لبنان ولكن بجميع أنحاء الوطن العربي ،

وتخشى أن يترصدوه إذا ما اكتشفوا اللعبة.

ثم إنها لم تفكر في السفر بعد ..

الحيرة تكبلها الآن ..

قطع صمتها صوت "جايدا" وهي تقول متهكمة:

– لما بتوصلوا مصر بتتزوجوا زواج المسلمين وتلبسي الحجاب وتتصوري بيه وتبعيلي ياها

وراح افضحك ع السوشيال يا غليظة ..

ضحكت "مرال" لضحك "جايدا" وأردفت:

– من وين بتجيب هالأفكار يا أم الجود ..

لكن سرعان ما أفأقت من نشوتها وعادت إلى واقعها المُرْجف وراحت تسأل "جايدا" عن كل شيء

بالتفصيل وعن قريبها الذي سيقدم لهم هذه الخدمة نظير حفنة من الدولارات.

ولكن ماذا لو إكتشفوا الأمر .. ماذا لو عرفوا حقيقة "ياسر"

الشرطة ستكون أول نصل يُغرس في عمق مأساته. أخاف عليه يا "جايدا" ..

أخاف أن يصيبه مكروه ..

كان قلبها يضجّ بأنين مؤلم وقلق غير محتمل يزاحمهما رغبة شديدة في أن يتم الأمر على هذا

النحو لأنه الطريقة الوحيدة التي ستمكنهما من الإرتباط وليس ثمة حل آخر.

فإما ذلك وإما النهاية.

تريده بشدة لدرجة أنها قد تخاطر بكل شيء إلا هو .. "ياسر".

لابد أن تكون متأكدة تماماً وواثقة من أن الأمر سيتم بسلام حتى لا يصيبه أي مكروه.

فكرت للحظة في المصير المجهول الذي ينتظرهما ، إذا لم تفلح وفقدت السيطرة على الوضع. ولم تسر الأمور على النحو الذي تريده وحسب خطتها و "جايدا".

هي تفكر في القرار .. هل ستقوم بذلك فعلا أم لا ..

"مرال" لا يساورها أي شك تجاه قبول "ياسر" للعرض. سيقبل دون تفكير فهي تعرفه جيداً وهذا يثقل حملها أكثر.

"جايدا" قدمت لها الحل على طبق من ذهب ولكنه مزروع بوسط قرميد مشتعل ربما لو أخذته يحرقها و "ياسر" ويقضي على حياتهما.

وربما لو نجحت تكمل ما تبقى من العمر مع حبيبها الذي كثيرا ما حلمت بأن يكون لها ويجمعهما بيت صغير.

هي تدرك تماماً حجم المسؤولية ..

الكرة الآن في ملعبها ..

وحدها من سيقدر ..

إما البقاء .. وإما الرحيل ..